وأيضاً، تهجم على التخطئة!

للأستاذ محمود محمد شاكر

إلى أخي البصام :

السلام عليكم ورحمة الله ، وبعد فيخيل إلى — والله أعلم — أنك رجل واسع المعرفة ، مغرًى بالتحصيل ، دقيق البصر ، تطلب الكلام وإسناده ووجهه ومكانه وضوابطه . وحسب طالب المعرفة أن يكون كذلك .

وقد طلع علي مقالك في الرسالة ، فما أدري والله من أي مريبك أعجب ؟ من واسع معرفتك ، أم من حسن تهديك إلى مواطن الشبهة في كلامي . أم لعلي أعجب من استجلابك للحجة بعد الحجة في تخطئة شيء كان الناس في غنى وراحة عن اضطرابهم بين صوابه وخطئه ؟

ومختصر القول هو أنك تريد أن تقول إن الكتاب ينبغي أن يبدأ كما بدىء في بعض كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم لكتب أصحابه بقولك : « سلام عليك » فإذا كان الختام قيل : « والسلام عليك » ، وأن من بدأ الكتاب بقوله : « السلام عليك » فقد أخطأ . أفهذا شيء من أدب الكتابة واتباع السنة وحسب ، أم هو قاعدة توجب الاتباع نحواً ولغة ورواية ، فيكون من بدأ بقوله : « السلام عليك » معرفاً فقد أخطأ في حق النحو واللغة والرواية ؟ وكلامك كله يدل على أن البدء بالسلام المعرف خطأ من قبل النحو واللغة والرواية . أليس كذلك ؟

فإذا كان ذلك كذلك ، فقد رويت لك قول صاحب اللسان في مادة (سلم) : « ويقال السلام عليكم ، وسلام عليكم ، وسلام بحذف عليكم » ، وهذا ولاريب قول اللغة والرواية والنحو فيما رواه لنا الرواة ، في تحديد بدء السلام (الذي هو التحية) : هذه واحدة .

ثم ذكرت لك قول الأخفش الذي رددته علي ، وقلت إنه لايعتد به (هكذا) ، لأني لم أذكر مصدره الذي نقلت عنه ، وفيه تصريح بين كتصريح صاحب اللسان ، ثم زاد فأظهرنا على العلة فقال إن « سلام عليكم » حذفت منه الزيادة (وهي الألف واللام) كما يحذف الحرف الذي هو من أصل الكلمة في قولنا : (لم يك) . وعلة أخرى هي أنه لما كثر استعمال « السلام عليك » بالألف واللام حذفا لكثرة الاستعمال . وهذا تقرير يدل على أن اللغة

قالت : وإنني لأقر بأن زوجي لم يقصد من تحطيم الأبواب إلحاق الأذى بي ، أو العبث بحوائجي ، وإنه فعل ذلك وهو تحت تأثير الخمر فقط ، وأما اللكمة التي أصابتني منه فقد كانت عفواً ...

وبالرغم من هذا التوضيح في الإفادة حكم على بوزيك بالسجن أسبوعين ، وفي السجن قص على زملائه قصته فقال فيما قاله :

« ... وكان من عادة زوجتي إذا ما وجدتني ثملا أن تفتش جيوبي ، وتأخذ ما تجده فيها من مال . وحدث مرة أن قبضت على ماشي وجئت البيت ، فوجدتها قد أعدت لي زجاجة كبيرة من الفودكا فأتيت عليها . ولما لعبت الخمر برأسي قالت لي : « هيا بنا في قلبي لنتنزه في ضوء القمر ! » . فقمت أترنح مستنداً إلى ذراعها ، وانقادتني إلى حيث أرادت . ولا أذكر كيف أفقت ووجدتني ملقى على السطح فتفقدت نقودي فلم أجده ... فأدركت الحال أن « الأميرة » سرقتني .

فقال أحد الساجين : — ماذا تقول ... أميرة ؟ ...

فأجاب بوزيك : — أجل ، تدعى زوجتي أنها من سلالة آل رومانوف ! ...

فقال سجين آخر : — ومن تكون زوجتك إذن ؟

قال : — ليست زوجتي سوى امرأة مقامرة في حياتها . فرت من روسيا إبان الحرب الأهلية ، ثم قامت بأعمال مظلمة هنا وهناك ، وتجولت بين تركيا والبلقان وعمان ! ... وها هي اليوم تبارك الناس في النهار وتسطو على في الليل .

ولما خرج بوزيك من السجن كانت أولجا تنتظره ، فتصالحا وتعانقا ، وعادا إلى مسكنهما سوية ، وكانت هي قد أعدت له كعكا وشايا ، فجلسا إلى المائدة ، ودار بينهما حديث عتاب . وحديث آخر عن الإنسان وحظوظه العاثرة ...

نجاتي صدقي

والنحو والرواية تجعل الأصل فى السلام المبدوء به هو التعريف .

فإن شئت أن تعرف أن وقع هذا الكلام عن الأخفش فاطلبه فى ص ١٥٢ ج ١ من كتاب تهذيب الأسماء واللغات للنووى وفى غيره أيضاً . هذه ثانية .

فإذا شئت أن تزداد علماً فخذ كتاب « المخصص » لابن سيده ج ١٢ ص ٣١١ واقرأ قوله : « فأما قولهم : سلام عليك ، فإنما استجازوا حذف الألف واللام منه ، والابتداء به وهو نكرة ، لأنه فى معنى الدعاء ، ففيه وإن رفعت معنى المنصوب » . يريد كأنك تدعو فتقول : « سلاما » . وقوله « استجازوا » دليل على أن الأصل هو التعريف بالألف واللام فى ابتداء التحية ، وأن الحذف ترخُّص منهم ، وهو شبيه بقول الأخفش . هذه ثالثة .

فإن شئت أن تضرب الأمثال لنفسك بالشعر كما ضربتها لى ، فاقرأ قول جرير فى ديوانه ص ٤٤٣ وفى النقائض ج ١ ص ٢١٢

يا أمّ ناجية السلام عليكم قبل الرواح وقبل لوم العذّل

هذه رابعة .

وإن شئت أن تقرأ قول لبيد فى الخزانة ج ١ ص ٢١٧ — ٢١٨ ، وفى ديوانه :

إلى الحول ثم اسم السلام عليكما ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر

فافعل تجد قولهم أن كلمة (اسم) مقحمة ، وتقدير الكلام فيما يقول النحاة : « ثم السلام عليكما » ، وتجد أيضاً فى إحدى رواياته « إلى سنة ثم السلام عليكما » . هذه سادسة .

فانظر لنفسك هل أخطأ كل هؤلاء وأصبت أنت ؟

واعلم مشكوراً أن المقام فى هذا كله مقام ابتداء لا مقام ختام مسبوق بسلام منكرٍ غير معرف .

وأما نص ابن قتيبة فهو كلام بين لا غموض فيه ، فالرجل يقول لك : « تكتب فى صدر الكتاب : سلام عليك ، وفى آخره السلام عليك » ولم يقل لك إنه ينبغى ، ولا أن القاعدة « أن تكتب فى صدر الكتاب كذا ... » ، وهو إنما ذكر هذا فى كتابه فى (باب الهجاء) لا فى باب أدب الكتابة كما ترى ، ولم يأمر الرجل ولم ينه ، ولم يقل لك إن من قال فى أول كتابه « السلام عليك » معرفاً فقد أخطأ ، كما شئت أنت تقوّله . وأما ما ذكره من أمر التعريف ، فإنه أراد أن يعلمك لِمَ عُرّف ثانيا وقد جاء منكراً وهو أول ، وكان حقه أن يأتى فى الآخر منكرا مرفوعاً كما جاء فى الأول فقال لك : « لأن الشىء إذا بدىء بذكره كان نكرة ، فإذا أعدته صار معرفة ، وكذا كل شىء ، تقول : مر بنا رجل ، ثم تقول : رأيت الرجل قد رجع . فكذلك لما صرت إلى آخر الكتاب ، وقد جرى فى أوله ذكر السلام عرفته أنه ذلك السلام المتقدم » ، ويريد أن يقول إن التعريف هنا « للعهد لا للجنس » . هذا كل ما فى كلام الرجل ، لم يوجب شيئاً ولم يمنع شيئا .

وأما الآية التى فى سورة مريم من قول عيسى عليه السلام : « والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ... » ، وما جاء من قول الزمخشرى فيها : « قيل أدخل لام التعريف لتعرفه بالذكر قبله » يعنى فى قول الله تعالى ليحيى : « وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ... » فذلك تفسير من الزمخشرى لمعنى (ال) فى قول من قال إن التعريف هنا للعهد . وأبى الزمخشرى أن يكون كذلك لأن العهد ههنا باطل عنده ، فالسلام المذكور فى قصة يحيى كان من قول الله سبحانه قبل مولد عيسى ، وهو آت فى أول السورة فى الآية (١٥) ، ثم مضى بعدها « واذكر فى الكتاب مريم » وذكر الله سبحانه قصتها ، حتى أفضت إلى كلام عيسى وهو فى المهد إذ قال : « والسلام على يوم ولدت ... » فى الآية (٣٣) ، فبين السلام الأول والثانى (١) انقطاع فى المدة (٢) وانقطاع فى السَّرْد (٣) واختلاف فى مبتدىء السلام وملقيه ، فالأول من الله والثانى من عيسى . هذا وسلام عيسى فى الآية الثانية المعرف فيه السلام ، ابتداء ولا ريب .

ومن أجل ذلك ذهب الزمخشرى إلى أن التعريف ههنا للجنس لا للعهد (وهذا كما ترى يخالف كل المخالفة ما أراده ابن قتيبة فى كلامه) . ثم ذكر الزمخشرى نكتة البلاغة فى التعريف فقال إن تعريف الجنس هو الصحيح لا تعريف العهد « ليكون ذلك تعريضاً باللعنة على متهمى مريم وعلى أعدائها من اليهود » . وهذا عندى تعليل ضعيف جداً من الشيخ رضى الله عنه ، وكان خليقاً به أن يصرف عنه وجهه . ولولا أنه كان مولعاً بنكت البلاغة لما وقع فى مثل ما وقع فيه . وإن شئت أن تزداد فقهاً ومعرفة بما قلت فاقرأ تفسير الشهاب الخفاجى والألوسى والقونوى وأبا حيان

وكتاب الأنموذج للزمخشري وتدبر ما فيها كل التدبر .

وأما قوله في الآية الأخرى من سورة طه : « والسلام على من اتبع الهدى » إن معنى التعريف ههنا التعريض بحلول العذاب على من كذب وتولى ، فهذا جيد وحسن لقوله تعالى في الآية التي تليها : « إنا قد أوحي إلينا أن العذاب على من كذب وتولى » . وهذا أيضاً طلب لنكت البلاغة ، وتبيان لأن التعريف ههنا للجنس . ولكن الزمخشري لم يقل لك ، ولا غيره فيما أحسب يقول لك : إن تعريف الجنس ينبغي أبداً أن يكون متضمنا معنى التعريض بشيء كالعذاب أو الويل أو الهلاك أو سوى ذلك كله .

ولو كان ذلك كذلك أيها الصديق لكان قصر تعريف الجنس على التعريض عجباً من العجب المضحك ، فانظر إلى قولك « سلام عليك » التي كان أصلها « سلاما عليك » منصوبة بفعل محذوف ، والتي عدل بها من النصب إلى الرفع على الابتداء للدلالة على ثبات معنى السلام واستقراره ، مع بقائها في معنى الدعاء ، فأنت إذا عرفتها تعريف الجنس فقلت « السلام عليك » اقتضت التعريض ، فعندئذ تقول لي كما قلت : « وبديهي أيها الأستاذ أنك لا تعني بقولك (السلام عليكم) في بدء كتابك الأول تعريضاً بأحد إذ لا حاجة إلى التعريض » .

فخذ عندئذ أختها وهي قولهم « حمد لله » التي كان أصلها « حمداً لله » منصوبة بفعل محذوف ، والتي عدل بها من النصب إلى الرفع على الابتداء للدلالة على ثبات معنى الحمد واستقراره ، مع بقائها في معنى من معاني الشكر والدعاء . فإذا عرفتها تعريف الجنس فقلت : « الحمد لله رب العالمين » أفيقتضي ذلك تعريضاً أو توبيخاً أو تهكماً !!! ألا يكون هذا عندئذ عجباً من العجب المضحك ...

ومن أجل تعريف الجنس ما أتعب الزمخشري نفسه في آية مريم وفي آية طه ، وفي سورة الفاتحة من تفسير قوله : « الحمد لله » فاقرأه هناك وتدبره كل التدبر .

وأما مسألة حديث التشهد فأراك جُرْت فيها على الحق . ولقد قلت في مقالك : « أما أهل القبلة فتشهدهم بعد الصلاة مختلف فيه ، فمنهم من يقول (سلام عليك) ومنهم من يقول (للسلام عليك) » . وقبل كل شيء ، فتشهد أهل القبلة لا يكون « بعد الصلاة » وهو « من الصلاة » ومن تركه أو بدّل فيه بطلت صلاته . هذه واحدة ، وأما الثانية ، فاختلاف أهل القبلة ليس يقال كما رويت ، فالصحابة جميعاً والتابعون من بعدهم ، وأئمة المذاهب من عرفت منهم ومن لم تعرف ، مذهبهم تعريف السلام في التشهد كله إلا (ابن عباس) من الصحابة ، والشافعي من أصحاب المذاهب ، فإنه ارتضى تشهد ابن عباس وآثره لأنه عنده (هو) أتم الروايات وأكملها ، ولكنه لم ينكر التعريف ، ولا استنكره المزنيّ ولا سواه من أئمة مذهبه . فلو أنت عنيت نفسك فرجعت إلى شرح البخاري لابن حجر (ج ٢ ص ٢٦١ وما بعدها) والعيني (ج ٦ ص ١٠٩ وما بعدها) لعرفت أن الصحابة والتابعين مجمعون على روايته بالتعريف في التشهد جميعاً ، ولرأيت أن أكثر الصحابة قالوا في حديث التشهد إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعلمهم التشهد كما يعلمهم السورة من القرآن ، ولرأيت النووي وهو من أصحاب الشافعي يقول : « قوله السلام عليك أيها النبي ، يجوز في السلام في الموضعين حذف اللام وإثباتها ، والإثبات أفضل » . أبعد هذا يا سيدي تطالبني بأن أطلعك أنت « على نص يوثق به يشير إلى أنهم منذ زمن الرسول (ص) يقولون في التشهد السلام عليك أيها النبي » ! عسى ولعل ، ولعل أهل القبلة أخطأوا جميعاً وأصبت أنت ! بما أوتيت من التدقيق والتحقيق والفحص وطلب المواثيق ! !

وأما إنكارك الحديث على ما خيّلت لك ، وأنه مما لا يستشهد به أهل اللغة والنحو ، واحتجاجك على ذلك بشيء اقتطعته من بحث في خزانة الأدب ج ١ ص ٦ ، ولم تتمه على وجهه بالتدقيق والتحقيق والفحص وطلب المواثيق كدأبك وعلى عادتك ، فهذا باب وحده لو ارتطمت فيه لم تعرف مخرجك منه . وما الذي ألجأك إلى هذا أيها العزيز ؟ ألا أتيتك بحديث المسند ج ٤ ص٤٣٩ وفيه النص على أن المسلمين كانوا يبدأون التحية بقولهم « السلام عليك » ؟

والحديث الصحيح الذي استخلصه رواتنا رضي الله عنهم ، فنفوا عنه كذب الكاذبين ، وتحريف الغالين ، وانتحال المبطلين حجة في اللغة والنحو ، ولو زعم لك زاعم أنه لا يكون حجة في اللغة ولا في النحو فاعلم أنه مبطل ، وأنه غافل لا يدري ما يقول . ولو رجعت إلى الخزانة التي نقلت عنها (وحسبك ولا أزيدك) علمت أن صاحبك نقل الذي نقلت لي في كلامك ، وأنه رجل عالم طالبُ حق لا مغرور بباطل ، فقد ذكر وجوه اعتراض المبطلين في الاحتجاج بالحديث ثم نقضها حجة حجة ، وصرح

بأن تدوين الأحاديث وضبطها وقع فى الصدر الأول من الاسلام قبل أن تفسد اللغة وترتضخ الألسنة باللكنة الأعجمية ، كما يعلم ذلك من درس تاريخ رواية الحديث وتدوينه حقّ دراسته ، ثم صرح فى آخر كلامه بأن لا فرق بين جميع روايات الحديث مهما اختلفت ألفاظها ، فى صحة الاستدلال بها فى اللغة والنحو . وكنت حقيقاً أن تقرأ كلّ هذا قراءة طالب العلم ، فلا تسألنى أن أغلق باب الاستشهاد بالحديث ، من أجل كلمات رويتها لم تحسن وضعها فى مواضعها .

وإلا فحدثنى أيها العزيز لم ترى علماء اللغة ، كصاحب اللسان ، وابن الأثير ، والزمخشرى صاحبك وصاحب كتاب الفائق ، وسواهم ممن عرفت ومن لم تعرف — يملأون كتبهم استشهاداً بالحديث على معانٍ لم توجد فى غير الحديث ، ولو طلبت لها شاهداً من الشعر أو غيره لم تجد . فإما أن يكونوا هم المبطلين ، وإما أن تكون أنت على حق ، فتبطل من أجلك نصف اللغة ونصف النحو وأشياء أخرى كثيرة .

ثم انظر إلىّ أيها الصديق ! ألست أنت الذى تقول هذا ، وتقول لى أيضاً فى صدر من كلامك معلّما ومنبّها ومقرعاً إنه « فاتنى أن الحديث لا يستشهد به أهل اللغة والنحو » . هو أنت أنت الذى لم يلبث فى آخر كلامه أن يأتى بشىء يناقض هذا كل المناقضة ، فنقلت كتاب رسول الله إلى المقوقس ، وهو من الحديث ومما رواه المحدثون ، وكتابه إلى كسرى ، وهو من الحديث ، وكتاب أبى بكر إلى المرتدين ، وهو من رواية أهل الحديث ، ثم أردفت ذلك بقولك : « ومعلوم أن هذه الكتب مُدوّنة ويستشهد بها اللغويون والنحاة » ؟! ياعجبا كل العجب ! فمن الذى روى لك هذه الكتب ؟ أليسوا هم الذين رووا لك الحديث ، وحديث التشهد ، وحديث السلام فى المسند ؟ وأين دوّنت هذه الكتب إلا فى الكتب التى دوّن فيها الحديث ؟ وما فرق ما بين تدوين الحديث وتدوين هذه الكتب ؟

وإن كنت قد ارتضيت هذه « الكتب المدونة » حجة يوثق بها ، فخذ كتاب الزمخشرىّ صاحبك ، وهو المسمى بالفائق ج ٢ ص ٣ ، واقرأ فيه وفى غيره أيضاً : « من محمد رسول الله إلى بنى نهد بن زيد . السلام على من آمن بالله ورسوله ... » إلى آخر الكتاب ، ولم يعترض الزمخشرى أيضاً على هذا البدء ، ولم يقل إنه خطأ فى اللغة ولا فى النحو .

ثم خذ صاحبك الطبرى ج ٣ ص ١٥٦ الذى نقلت منه كتاب رسول الله إلى المقوقس ، وكتاب أبى بكر ، وصاحبك « كتاب صبح الأعشى » ج ٦ ص ٤٦٥ ، الذى نقلت عنه كتاب الرسول إلى كسرى ، ثم اقرأ هداك الله : « لمحمد النبى رسول الله صلى الله عليه وسلم من خالد بن الوليد . السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته ... » إلى آخر الكتاب .

فهل قنعت أيها العزيز بما سقت إليك ؟ وأنصحك النصح أن لا تتبع تلك الناجة التى نجمتْ بين أهل اللغة تريد أن تتبجح بالعلم والمعرفة والفقه ، فتأتى صواب الناس ترميه بالخطأ على الشك والتوهم وسوء التأويل وفساد الفهم . واعلم أن العربية تسلّم العقل ، فمن شاء أن يطلبها بحقها فليصبر عليها صبر المؤمن . وأنت امرؤ فيك خير فلا تُضيع ما آتاك الله بالعجلة والتسرّع ، فتثبت قبل أن تحكم ، وتدبر قبل أن تقطع ، واستقص قبل أن تستوثق ، وانظر لنفسك قبل أن تزلّ بك قدمٌ ، واعلم أن شرّ أخلاق الناس اللجاجة ، وشرُّ اللجاجة لجاجة العالِم ، وشر لجاجة العالم لجاجته فيما لا يعلم أو فيما لا يحسنُ ، وأن نصف العلم قول المرء فيما لايدرى لست أدرى . فالفهمَ الفهمَ فيما تلجلج فى صدرك ، هداك الله وأعانك وسدّد خطاكَ . والسلام عليك ورحمة الله .

محمود محمد شاكر

مجلس صيرية القليوبية

يطرح فى المناقصة العامة عقد ومواصفات عن الترميمات والإنشاءات اللازمة لماهد المجلس وتطلب المناقصة من إدارة المجلس فيها نظير مبلغ ثلاثماية مليم على عرضحال دمغة . وآخر ميعاد لقبول العطاءات يوم ٩ / ٤ / ٩٤٦ ويوم ١٠ منه لفتح الظاريف الساعة التاسعة أفرنكى صباحا .

٥٠٢٤